**السنة الثالثة /أدب**

**قضايا النص الشعري القديم**

**أ د فريدة مولى**

**المحاضرة الرابعة: الشعري السياسي في العصر الأموي**

ازدهرت الحياة الأدبية في العصر الأموي نتيجة عوامل عدّة، فقد شهد هذا العصر تحولات كبرى في جميع المجالات، إذ توسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتدت أطرافها من شبه الجزيرة العربية إلى العراق والشام ومصر وبلاد الفرس، ونتيجة لهذه الفتوح الإسلامية امتزجت الثقافة العربية بثقافات البلاد المفتوحة واختلطت الأجناس وانتشر الرقيق والجواري وظهرت طبقة الموالي التي كانت في تكاثر مستمر سواء من طريق الفتوح أو الشراء وكان لوجودهم أثر بالغ في المجتمع الأموي كما كان لهم أثر في الحياة الأدبية،و نتيجة للفتوح أيضا كثر المال والثراء الذي مسّ طبقة الحكام والقادة الفاتحين والكتاب والشعراء المقربين منهم فسادت حياة اللهو والطرب والمجون جراء هذا الغنى إلى جانب حياة الزهد والتقشف،وقد أسهم كل ذلك في تطور الأدب(الشعر والنثر) ،إذ تلون بألوان البيئات الجديدة غير بيئة شبه الجزيرة العربية وتأثر بالعوامل السياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية.

نما الشعر وازدهر وتنوع بتأثير هذه المؤثرات أو العوامل خاصة العوامل السياسية،فقد نقل الأمويون ملكهم إلى بيئة جديدة غير بيئة الحجاز وهي الشام واتخذوها عاصمة للخلافة الأموية،كما أسسوا ملكا وراثيا يتداول فيه بنو أمية على الحكم دون سواهم ويقمعون كل معارضة تسعى إلى سلبهم ملكهم،وقد أدى ذلك إلى ظهور خصوم لهم ومعارضة عنيفة سواء من الخوارج الذي يريدون خلافة شورية لا تكون وقفا على قريش وحدها بل يتولاها كل من تتوفر فيه المؤهلات المطلوبة، أو من الشيعة أتباع على بن أبي طالب الذين اتهموا بني أمية بسلب الخلافة منهم غصبا وهي حقهم الشرعي و هم الأولى بها، أو من الزبيريين أتباع عبد الله بن زبير (ابن الزبير بن عوام أحد المبشرين بالجنة) الذي كان يرى أنه أحق بالخلافة من يزيد بم معاوية وغيرهم من المعارضين والذين ثاروا على بني أمية وقاموا بثورات حتى وان لم تحقق انتصارات حاسمة إلاّ أنها أدت إلى زعزعة أركان الحكم الأموي.

**شعر الأحزاب السياسية:**

كان الشعر حقا مشتركا بين مختلف الأحزاب السياسية التي نشأت إثر الصراع حول الأحقية في الخلافة، وقد كان لكل حزب شعراؤه الذين يوضحون معتقداته ويرسخون نظامه ويوطدون دعائمه، والشعر السياسي هو ذلك الشعر الذي قاله الشعراء التابعون للاتجاهات السياسية المختلفة والأحزاب المتصارعة على الخلافة من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج، وقد ازدهر هذا اللون الشعري في هذا العصر حتى أصبح غرضا قائما بذاته، وكان من أبرز أشكاله الهاشميات والنقائض، إلى جانب شعر الأمويين والشيعة و الخوارج والزبيريين.

**1-الهاشميات**: هي القصائد قيلت في تمجيد الهاشميين وحبّهم وذكر محاسنهم التي جعلتهم أحق بالخلافة من غيرهم، وكان الشاعر "الكميت بن زيد الأسدي" فقيه الشيعة وخطيب بني أسد صاحب الهاشميات وقد نظم في مختلف مضامينها التي من أبرزها:

أ-التعبير عن حب الهاشميين وذكر محاسنهم وفضائلهم وحقّهم في الخلافة بعد "علي بن أبي طالب" ، يقول الكميت: إلى النفر البيض الذين بحبهم\*\*\*إلى الله فيما نابني أتقرب

بني هاشم رهط النبي فإنني\*\*\*بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

ب-رثاء الشهداء الهاشميين ومنهم "الحسين بن علي بن أبي طالب" الذي استشهد في كربلاء، يقول الكميت: ومن أكبر الأحداث كانت مصيبة\*\*\*علينا قتيل الأدعياء الملحّب

قتيل بجنب الطفّ من آل هاشم \*\*\*فيا لك لحما ليس عنه مذّبّب

ج-هجاء أعداء الهاشميين وخصومهم ، يقول الكميت في هجاء الحكام الأمويين:

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم\*\*\* فحتّام العناء المطوّل

وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا\*\*\*لأجور من حكامنا المتمثل

**2-شعر النقائض:** وهو اللون الثاني من ألوان الشعر السياسي في العصر الأموي، ويمثل شعر النقائض أحد الفنون الأدبيّة التي كانت بداياتها الأولى في العصر الجاهلي، ولكنّها تطوّرت إلى أنْ أصبحت فنا أدبيا قائما بذاته في العصر الأموي بقيام الأحزاب السياسية ومحاولة التقرب إلى خلفاء بني أمية لغرض التكسّب، ويعود الفضل في ذلك إلى ثلاثة شعراء أمويين هم الفرزدق وجرير والأخطل، غير أنّ نقائض الفرزدق)من شعراء الشيعة) وجرير(من شعراء بني أمية) هي التي اشتهرت أكثر من غيرها في تاريخ الأدب العربي على مر العصور .

و النقائض في اللغة جمع، مفرده نقيضة، (ولها أكثر من معنى، ولكنّ المعنى المراد هنا هو مناقضة القول أي أن تتكلم بخلاف معناه). أما تعريف النقائض اصطلاحا (فهو أن يهجو الشاعر شاعرا آخر، أو أن يفتخر بنفسه أو بقومه أمامه بقصيدة على بحر معين وقافية محددة وروي ما، فيرد عليه الشاعر الآخر على نفس البحر والقافية والروي بقصيدة من نفس الموضوع، ولكن يضمنها هجاء معاكسا، وفخرا يلغي فيه فخر الشاعر الأول بنفسه وينفيه).

**موضوع النقائض :**

يتمحور شعر النقائض حول الهجاء والفخر، فيحاول الشاعر من جهة أنْ يجمع كلّ ما استطاعه من شمائل وخلال كريمة ينسبها لنفسه أو لقبيلته أو لحزبه أو لاتجاهه ، ويحاول من جهة أخرى أنْ يتهم خصمه بكل ما من شأنه أن يحط قدره وقدر قبيلته أو حزبه، ولهذا (أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثّقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلا دليلا، وكأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية ، وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد مسرحا لها، فالشعراء يذهبون إلى هناك، ويذهب إليهم الناس ويتحلّقون من حولهم، ليروا من تكون له الغلبة على زميله أو زملائه).

**أهمية جرير والفرزدق في النقائض:**

بالرغم من أنّ عدد الشعراء الذين جربوا براعتهم الشعرية في مجال النقائض لا يُحصى، فجرير وحده قد هزم ما يتجاوز الثمانين شاعرا، إلاّ أنّ أهم من وقفوا حياتهم على تنمية تلك النقائض القبلية مستلهمين فيها ظروف العصر وأحداثه السياسية جرير والفرزدق التميميّان(نسبة إلى قبيلة تميم). وكان أولهما من عشيرة كليب اليربوعيّة ، والثّاني من عشيرة مجاشع الدارمية، وقد ظلا يتناظران نحو خمسة وأربعين عاما في عشيرتيهما من جهة، وفي قيس وتميم من جهة ثانية([[1]](#footnote-2)). ولم تكن المسألة مسألة هجاء حاد، إنما كانت مسألة مناظرة فنية بالشعر في عصبيات القبائل والعشائر، على نحو ما كان يتناظر في عصرنا أصحاب الصحافة الحزبية في آرائهم السياسية مدافعين مهاجمين، وتظل لهم في أثناء ذلك صداقتهم.

**3-شعر الأمويين :** تناول الشعراء الأمويون كلما يتصل بالصراع السياسي الناشب بين الأمويين وخصومهم، كما أسرفوا وبالغوا في مدحهم للأمويين وأضفوا عليهم صفات لم تكن فيهم والدافع إلى ذلك هو طمعهم من عطايا الأمويين وجوائزهم السخية لذلك لم يكن مدحهم صادقا، كما أشاد بخلفاء بني أمية وبولاتهم وقادتهم حتى شعراء الخصوم من شيعة وزبيريين وذلك إما خوفا من بطشهم أو طمعا في عطاياهم، ومن هؤلاء الكميت شاعر الهاشميين والفرزدق شاعر الشيعة وعبد الله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، وقد تميز شعرهم ب:

\*الاحتجاج لبني أمية وبني مروان والدفاع عنهم والإقرار بأحقيتهم بالخلافة، وهجاء الخصوم ونعتهم بالكفر والكذب والمكر، فهذا جرير يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو عبد الله بن الزبير وينعته بالكاف:

وإني قد رأيت علي حقا \*\*\*زيارتي الخليفة وامتداحي

ألستم خير من ركب المطايا\*\*\*وأندى العالمين بطون راح

دعوت الملحدين أبا خبيب \*\*\*جماحا هل شفيت من الجماح

\*غلبة المظهر السياسي على الديني، لذلك كانت دعاواهم خطابية لا سند لها من الدين

**4-شعر الشيعة:** اقترن نشاط الشيعة السياسي بحظ وافر من الشعر، فإلى جانب الهاشميات لشاعر آل البيت الكميت بن زيد، نجد شعراء آخرين ك "كثير عزة" و "دعبل الخزاعي " وغيرهم انبروا للدفاع عن حق الشيعة في الخلافة التي استلبت منهم، وأهم ما يميز شعرهم:

\*الاحتجاج لحق الأئمة الشيعة في الخلافة بأدلة عقلية ونقلية وبأسلوب هادئ رزين.

\*مدح أئمة الشيعة وإظهار المحبة لآل البيت وإبراز الجوانب الدينية والإنسانية في شخصياتهم.

\*رثاء شهداء الشيعة والحزن والتفجع على الشهداء من الأئمة مصحوبا بالتحريض على الأخذ بالثأر بأسلوب ثائر وقوي.

\*امتزاج السياسي بالديني كالتصدي للخصوم بالهجاء السياسي ورثاء القتلى والابتهال إلى الله بالشعر الديني.

**5-شعر الخوارج:** امتاز شعر الخوارج السياسي عن غيرهم بالتفافهم حول المبادئ لا حول شخص أو جنس أو قبيلة أو عائلة، لذلك كان شعرهم أصدق صورة أدبية لمذهب سياسي على قلته، وسبب ذلك قلة النصوص التي وصلتنا وتفرقها في المصادر بسبب الاضطهاد وعدم اهتمام الدارسين بأدبهم، ومن أشهر شعرائهم " قطري بن الفجاءة وعمران بن حطان والطرماح بن الحكيم.

وقد تميز شعر الخوارج ب :

- شعراء المذهب هم أنفسهم المجاهدون حملة السلاح لذلك كان شعرهم حماسيا صادقا.

-جزالة الأسلوب وقوته، فشعرهم قوي يعكس صلابة الخوارج وحماستهم واندفاعهم وبداوتهم التي لم تفسدها الحضارة ولم يضعفها الترف.

-مذهبهم ثوري يدعوهم دائما للحرب والقتال طلبا للشهادة حتى أصبح الاستشهاد شعارهم.

-الزهد في الحياة، فهم لا يعرفون هزلا في الحياة ولا ترفا ، يقول عمران بن حطان في ذلك:

لقد زاد الحياة إلي بغضا\*\*\* وحبا للخروج أبو بلال

أحاذر أن أموت على فراشي\*\*وأرجو الموت تحت ذرى العوالي

-لم يتكسب شعراء الخوارج بشعرهم ولم يتناولوا أغراضا أخرى إلا نادرا ، بل حولوا المدح والهجاء والرثاء شعرا سياسيا خالصا.

-شعرهم شعر مقطوعات وقصائد قصيرة لذلك لم يتركوا لنا دواوين خاصة لكل شاعر ولم يكونوا من المكثرين .

**6-شعر الزبيريين:** كان الشعر السياسي الزبيري على قّلته وقلّة شعرائه يدافع عن نظرية عبد الله بن الزبير في الخلافة من خلال هجاء بني أمية وتأليب وتحريض القبائل عليهم، وسبب القلة هو بخل عبد الله بن الزبير وعد اهتمامهم بمدح الشعراء له ولحزبه خلافا لأخيه مصعب بن الزبير، وقد اختص الشاعر "عبد الله بن قيس الرقيات" بالدفاع عن الزبيريين ونظريتهم في الخلافة (وجوب الخلافة في قريش فقط) وصاحب حركتهم في مختلف مراحلها إلى أن قتل زعيما الحزب الأخوين عبد الله ومصعب ليتحول بعد ذلك إلى مدح الأمويين خوفا من بطشهم، كان ابن قيس الرقيات يحيا حياة لاهية في المدينة ونظم مقطوعات في الغزل تغنى بها المغنون واستحسنها الناس كثيرا وقد اعتنق عقيدة الزبيريين لأنه كان حانقا وحاقدا على الأمويين بسبب قتلهم للكثير من سادة قريش وطائفة من أهله،يقول:

كيف نومي على الفراش ولمّا \*\* يشمل الشام غارة شعواء

أنا عنكم بني أمية مزورر \*\* وأنتم في نفسي الأعداء

إن قتلى بالطف قد أوجعني \*\* كان منكم لئن قتلتم شفاء

ومن أبرز ما يميز الشعر الزبيري:

-اتخاذ الغزل أداة للشعر السياسي حيث تغزل الرقيات بزوجات الخلفاء الأمويين وصورهن في صورة مبتذلة مقابل ذلك تغزل بزوجات الزبيريين في صور كلها وقار وثناء.

-امتاز شعر ابن قيس الرقيات بالعذوبة والنقاء في موسيقى شعره حتى في مدائحه ومراثيه وأهاجيه السياسية لاتصاله بالمغنين، كما انه كان من أكثر الحجازيين عناية بالأوزان القصيرة والمجزوءة الصالحة للغناء.

-أسلوبه في العبير عن زبيريته يفيض صدقا وإخلاصا وهو أسلوب تقريري لا يخلوا من الاحتجاج لأحقية عبد الله بن الزبير في الخلافة.

1. [↑](#footnote-ref-2)